تأملات في حرية التنقل
رحاب نزال

تأملات في حرية الحركة، هو مشروع أشرفت عليه الفنانة رحاب نزال استجابة لدعوة من مجلة بلاك فلاش في صيف عام 2022. بدأ المشروع كحوار حول حرية التنقل مع عدد من الفنانين الفلسطينيين كما تجسدها تجاربهم. تطورت المجموعة إلى "مجموعة الحركة"، المكونة من مايكل جبارين من برقين، ويعمل حاليا في برلين؛ حنين نزال من جنين وتعمل في رام الله، الضفة الغربية؛ خالد جرادة من غزة، يقيم حاليا في فرنسا؛ وآلاء الداية التي تقيم وتعمل في مدينة القدس القديمة.

عقدت مجموعة الحركة اجتماعات شهرية عبر الإنترنت بين آب وكانون الأول 2022، وتعمقت حواراتها في الأنظمة والتجليات المعاصرة للسيطرة والتحكم في التنقل والحركة داخل الدول القومية وفيما بينها. وشملت المناقشة أيضا الآثار الجسدية والنفسية الناشئة عن نظم تقييد ومعيقات حرية الحركة والقيود والحصار.

عبّر الفنانين المشاركين عن تجاربهم الخاصة في التنقل بين الجدران الأسمنتية وحواجز التفتيش وأبراج المراقبة ونظم السياقة المشفرة ووثائق الهوية، والطرق والمناطق المنفصلة.[1] اختتمت الحوارات بقيام كل من الفنانين بإنشاء عمل فني باستخدام الرسوم، والتصوير الفوتوغرافي، والرسوم المتحركة، والنص.

يدعونا هذا المشروع إلى التفكير في تأثير الممارسات الاستعمارية الاستيطانية المتمثلة في التجزئة والحبس والفصل المفروضة على السكان الأصلانيين ليس فقط في فلسطين، ولكن أيضا في جزيرة السلحفاة (شمال أمريكا) والأراضي المستعمرة الأخرى في العالم. كما يدعونا إلى التفكير في الاختراعات الغربية للحدود ووثائق الهوية وأنظمة التصاريح وأجهزة وأنظمة المراقبة والعلاقة بين هذه الاختراعات والحروب وكوارثها والأزمات الناشئة عنها بما في ذلك أزمة اللاجئين.

خلفية موجزة حول حرية تنقل وحركة الفلسطينيين:

أدت نكبة عام 1948 إلى الطرد القسري لما يقارب من ثلثي السكان الفلسطينيين الأصليين من وطنهم من قبل القوات العسكرية الصهيونية، مما أدى إلى إنشاء دولة إسرائيل على الأراضي الفلسطينية التي تم الاستيلاء عليها، وأدى أيضا إلى نشوء أكبر أزمة لاجئين في العصر الحديث. حاليا، هناك أكثر من ستة ملايين لاجئ فلسطيني، منتشرين في 59 مخيما للاجئين في غزة والضفة الغربية والدول العربية المجاورة، تديرها وكالة الأونروا التابعة للأمم المتحدة. لا زال هؤلاء اللاجئون حتى وقتنا الحالي محرومون من حق العودة إلى وطنهم الذي تم عزله بالكامل عن جيرانه.

في عام 1967، احتلّت إسرائيل الأراضي الفلسطينية المتبقية - الضفة الغربية وغزة - واقتلعت مجموعة أخرى من الفلسطينيين وسيطرت على حياة وأراضي السكان بالقوة العسكرية. وتشمل هذه السيطرة بناء مستوطنات لليهود فقط في الأراضي المحتلة، في انتهاك صارخ للقانون الدولي. بين عامي 1967 و2020، بنت إسرائيل 250 مستوطنة غير قانونية ومنفصلة لليهود فقط وطرقا مخصصة للإسرائيليين فقط. وفرضت قوات الاحتلال حظر السفر واشتراط الحصول على إذن بالخروج من البلد أو دخوله مما أدى الى زيادة تقييد حرية تنقل الفلسطينيين.

1987-1993 اندلعت الانتفاضة الأولى، المعروفة أيضا بانتفاضة الحجارة، في جميع أنحاء الضفة الغربية وقطاع غزة. تميزت الانتفاضة بالتعبئة الجماهيرية الواسعة للمجتمع المدني الفلسطيني بمشاركة واسعة للشباب والطلاب والنساء في المظاهرات والاحتجاجات والعصيان المدني والإضرابات المطالبة بإنهاء الاحتلال العسكري الإسرائيلي. وأدى ذلك إلى فترات طويلة من حظر التجول، وإغلاق النظام التعليمي، والاعتقالات الواسعة.

في عام 1993، تم توقيع اتفاقيات أوسلو، المعروفة أيضا باسم "عملية السلام"، بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل. وقد وعدت هذه الاتفاقات بإنهاء احتلال الضفة الغربية، بما فيها القدس الشرقية، وقطاع غزة. ومع ذلك، لم تسفر عملية السلام التي أدت الى انشاء السلطة الفلسطينية، إلا عن انسحاب قوات الاحتلال من المراكز المأهولة بالسكان وزيادة استعمار الضفة الغربية وتعميق عزل المجتمعات الفلسطينية عن بعضها البعض، فضلا عن زيادة القيود المفروضة على حركتها.

[1] الفلسطينيون لديهم بطاقات هوية ولوحات سيارات خضراء بينما الإسرائيليون لديهم بطاقات هوية زرقاء ولوحات سيارات صفراء.

ما بين عام 2000 وعام 2006، انفجرت الانتفاضة الفلسطينية الثانية في الضفة الغربية وقطاع غزة ردا على فشل "عملية السلام". واتخذت الانتفاضة شكل احتجاجات شعبية ومقاومة مسلحة ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي. وأدى ذلك إلى عودة قوات الاحتلال إلى المراكز المأهولة بالسكان، مع زيادة الحواجز العسكرية وأنظمة وهياكل المراقبة التي أعاقت حركة الفلسطينيين أكثر وأكثر.

منذ عام 2002، بدأت إسرائيل في بناء جدار الفصل العنصري في الضفة الغربية المحتلة، بما فيها القدس الشرقية. الجدار، الذي يتكون من طبقات خرسانية بطول يتجاوز 800 كيلومترا وارتفاع ثمانية الى تسعة أمتار، وسياج متصل بسلسلة، ونظام مراقبة، مصمم لسرقة الأراضي وزيادة عزل المجتمعات الفلسطينية عن بعضها البعض وعن العالم الخارجي. للجدار بوابات ونقاط تفتيش تتحكم في حركة تنقل الأشخاص والبضائع بين الضفة الغربية وغزة وبقية فلسطين والعالم الخارجي. فرضت سلطة الاحتلال حظر السفر وشرط الحصول على تصاريح للتنقل بين أجزاء فلسطين المختلفة. على سبيل المثال، جميع الفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة لا يستطيعون الوصول الى القدس أو المدن الفلسطينية المستعمرة في عام 1948 مثل حيفا والناصرة دون الحصول على تصريح فردي.

في عام 2007، فرضت إسرائيل إغلاقات وحصارا جويا وبريا وبحريا على قطاع غزة، وعزلته عن بقية فلسطين وعن العالم وحصرت أكثر من مليوني شخص في مساحة 360 كم2. وقد اقترن هذا الحصار بهجمات عسكرية متكررة من جانب إسرائيل، مما تسبب في خسائر ضخمة في الأرواح وأضرار جسيمة في البنية التحتية، فضلا عن التحكم الخانق بحركة الفلسطينيين.